التوصيف الجغرافي لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

جغرافية بلاد العرب

بلاد العرب أشبه ما تكون بمستطيل غير متوازي الأضلاع ، يقع في جنوب غربي آسيا ، تحيط به البحار من ثلاث جهات ، فالبحر الأحمر وكان يعرف قديما بحر القلزم يحده من الغرب ، وبحر عمان ، والخليج العربي الفارسي مع امتداده الى البصرة من الشرق والبحر الأحمر والخليج العربي يعتبران اخدودان في المسطح الصحراوى العظيم والمحيط الهندى من الجنوب ، أما الحد الشمالي فيمتد من مدينة غزة الفلسطينية مارا بجنوب البحر الميت حتى شرق الأردن، ثم يمر من دمشق إلى الفرات متجها إلى الجنوب حتى ينتهى عند الخليج العربي ويقتصر بعض المؤرخين على تسمية هذا الحد الشمالي ببادية الشام.

اطلق جغرافيو العرب على هذه البلاد اسم الجزيرة أو جزيرة العرب وعملوا هذه التسمية بأن مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، كما نحيط بها مياه دجلة والفرات من الجهة الرابعة في الشمال ، فأصبحت مثل جزيرة من جزر البحر ، ولكننا نميل الى التسمية الحديثة وهي شبه الجزيرة العربية، وتبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية حوالي مليوني كيلو متر مربع يبلغ طولها ١٥٣٣ ميلا ، وعرضها ٨٠٠ ميل وقد أشار اليها كتاب قدامى قبل ظهور علم الجغرافيا عند العرب بعدة قرون . فقد وصف بلنبوس جزيرة العرب بأنها بلاد عظيمة الاتساع ، وانها تمتد الى جبل امانوس ، وأنها تضم داخل حدودها مدينتي الرها وحران.

اختلف الجغرافيون على تقسيم شبه الجزيرة العربية الى اقسام جغرافية

لتسهل دراستها ، فبطليموس قسمها الى ثلاث مناطق كبيرة هي :
بلاد الحجر العربية أو ما يعرف ببلاد العرب الصخرية
وبلاد العرب الصحراوية
وبلاد العرب السعيد اليمن
ويرى البعض أن بطليموس كان متعسفا في هذا التقسيم ولذلك لم يعتمد عليه جغرافيو العرب القدامى، ويكاد الرأي يجمع على أن أفضل التقسيمات هو ما اصطلح عليه جغرافيو ومؤرخو الغرب وتبعهم المحدثون من حيث تقسيم شبه الجزيرة العربية الى خمس مناطق هي:
تهامه او السهول الساحلية، والحجاز، ونجد، واليمن، واليمامة أو العروض وهي في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة . وتعتبر الأجزاء الغربية اكثر المناطق ارتفاعا . ثم تنحدر الى الشرق بالتدريج، الا عند عمان ، وليس فيها انهار دائمة الجريان بالمعنى المعروف للأنهار لأنه لا يعلم في ديار العرب نهر ولا بحر ولكن أودية يجرى فيها الماء حينا ويجف حينا وهى غير صالحة للملاحة .على أن بعض المستشرقين الرحالة الذين جابوا هذه الاصقاع مثل كيتاني الايطالي و برترام توماس ويوحنا فيليي .الذي تسمى باسم الحاج عبد الله الانجليزيين ، هؤلاء يقررون ان آثار الجزيرة العربية تشير إلى وجود آثار من نباتات وحيوانات ومياه . ويستدلون على ذلك بالبحيرة التي وجد

بقاياها برترام توماس سنة ١٩٣٠-١٩٣١ . وفيلبي سنة ١٩٣٢ فى الربع الخالي ووادي الرمة الذي يظن أنه كان نهرا وفير المياه .فاذا ما تناولنا هذه الأقسام بالدراسة نجد الآتي:

١ - تهامة :

وهي السهول الساحلية في اطراف شبه الجزيرة من الناحية الغربية . وتمتد من أقصى الجنوب في اليمن الى اقصى الشمال عند خليج العقبة . وتعرف بالتهائم ، وتختلف اسماؤها من مكان لآخر مثل تهامة الحجاز . وتهامة عسير ، وتهامة اليمن ، كما يختلف اتساعها ، ففي الجنوب حيث تهامة اليمن تبلغ أقصى اتساع لها - حوالى ٧٥ كيلو مترا - بينما اقل اتساع لها في الشمال عند خليج العقبة، وفي بعض الأماكن تتصل المرتفعات مباشرة بسواحل البحر الأحمر حيث لا توجد سهول ، ويطلق على التهائم كذلك اسم الغور لأنها منخفضات بين ساحل البحر الأحمر والمرتفعات ولان سطحها رملى ، ومناخها جاف شديد الحرارة ، راكدة الرياح ، وليست ، التهائم قاصرة على منطقة السهول الساحلية فحسب ، بن تضم كذلك معظم المنطقة الواقعة الى المنحدرات الغربية لسفوج جبال الحجاز .في هذه السهول يوجد كثير من الوديان العميقة نسبيا والتي تمتلى بالمياه في فصل المطر، ولكنها عديمة النفع ، لأنها تمثل عقبة في سبيل المرور من الشمال الى الجنوب أو العكس.

ويمكن القول أن سواحل شبه الجزيرة العربية خصبة بالنسبة للمناطق الداخلية ، ويحاول البعض اضفاء الخصوبة بشكل كبير على هذه السواحل ويقرنوها بخصوبة اليمن والعراق.

٢ - الحجاز : تقع الى الشرق من السهول الساحلية المعروفة بالتهائم ، وسميت حجاز لوجود سلسلة من الجبال تحجز بين تهامة ونجد ، وتعرف هذه الجبال باسم سلسلة جبال السراة وتعتبر أكثر اجزاء شبه الجزيرة ارتفاعا ، وهي تنحدر بشدة نحو السواحل المطلة على البحر الأحمر . بينما تنحدر بالتدريج الى داخل شبه الجزيرة تجاه الشرق باستثناء الجزء الجنوبي الشرقي من عمان .ويبلغ متوسط ارتفاعها في عسير حوالي ١٥٠٠ متر ، وفى الحجاز حوالي ٩٠٠ متر.بها تلال وعرة ، ولكن بها مراع جيدة، وبقاع شديدة الخصوبة وتعتبر السوح الشرقية أكثر صلاحية للتوطن البشرى ولطرق المواصلات، وذلك لكثرة تقطعها بمياه الوديان اذا ما قورنت بالسفوح الغربية . التي تكثر بها الأودية التي تمتلىء بالمياه بعد نزول المطر . التي تدفعها مياهها نحو البحر الاحمر . والحجاز قطر فقير بوجه عام . مناخه شديد الحرارة مع وجود بعض الاجزاء المتعدلة فى مناخها مثل الطائف ، وأغلب السكان بدو رحل.

,يعتبر اقليم الحجاز أهم مناطق الجزيرة العربية لوقوع مكة ويثرب بها ,وهما من الأماكن المقدسة التي لها قداستها واعتبارها في الجاهلية والاسلام، وكذلك مدينة الطائف ملتقى رؤوس الأموال . والتي كانت مصيفا لأهل الحجاز ، ولوجود الممر التجاري الذي يربط بين الشام واليمن هذا صحيح، وباعتبار مكة أهم مركز تجاري في بلاد العرب، وقد ذكرت هذه المدن الثلاث من اشتغالها بالتجارة، ووقوفها على بعض الجوانب الحضارية، ولم تبلغ في مركزها حضارة اليمن .

٣ - نجد :ومعنى نجد أنه ما غلظ و اشرف من الأرض القفاف الصلبة ، ولكن الرأى على أنه اسم للأرض التي تفصل بين تهامة واليمن جنوبا . العراق والشام شمالاً.

طبيعة الأرض صحراوية مرتفعة - اى مضبة به ويعقد هذا الأقليم من الحجاز غربا إلى البحرين شرقا ، ومن بادية الشمام شمالا إلى شمال اليمن جنوبا ، والهضبة تنحدر بالتدريج نحو الخليج العربي) بالفارسي (وسهول الفرات، وتشغل قسما كبيرا في وسط شبه الجزيرة العربية والانهار غير معروفة، والوديان كثيرة مثل وادى الرمة ، ووادي حنيفة - ووادى الدواسر ، وبعضها يتميز
بطول يصل ١٣٠٠ كليو مترا مثل وادى الرمة . (الذى يبدا بالقرب من يثرب) المدينة (ويمر بالقصيم ثم يتجه الى شيط العرب) ٢ .(هذه الوديان تمثلى، بالمياه في موسم المطر وتصبح مصدر خير العرب البادية ومعظمها غير عميق وهي تشق شبه الجزيرة طولا وعرضا .. وتربى على سهولها احسن انواع الخيول العربية) ٤ (وتشتهر بمراعيها الجديدة، بها بعض الأراضي المنتثرة التي تصلح للزراعة والبعض برى لن أراضي نجد واليمامة كانتا لاتقلان خصوبة عن أرض أوربا الخصبة ، ان لم تكن أكثر خصوبة منها ولكننا نرى أن متصل هذا القول يحتاج الى ادلة علمية وآثار مادية لاثبات ذلك ، وتتكون مرتفعات نجد من عدة اقسام هي:

ا - بادية السماوة) النفود الكبير . -:في شمال هذه المرتفعات ، وتأخذ شكل مثلث كبير قاعدته في الغرب، وراسه في الشرق ، وليست النفود ذات طبيعة متجانسة من حيث صلابة الأرض، ففي بعض جهاتها توجد انهار من الرمال الناعمة الغير متماسكة تكاد تبتلع من يمر فوقها ، ولهذا يتجنبها المسافرون بغية سلامة ارواحهم وقوافلهم ، تهب عليها الرياح فتكون كثبانا رملية متسلسلة ، يبلغ ارتفاع بعضها من ٣٠٠ - ٥٠٠ قدم ، وهذه الكثبان الرملية والسهول تحيط بالهضبة من جميع جهاتها، وهي قسمان ، النفود الكبير الشمالي بين الجوف وجبل شمر وصحراء الربع الخالي) أو بادية الاحقاف) في الجنوب وبالنفود الكبير بعض آبار المياه التي لا يعرفها الا المتمرسون ، وتمر القوافل من خلاله في طرق معلومة وسط الرمال والكتبان أهمها الطريق ما بين الجوف وجبل شمر وهناك طريق آخر من الجوف الى الحبانية ومنها الى حائل وتكثر المراعى في فصلي الشتاء والربيع، وتأتى القبائل الى النفود في هذين الفصلين ، وتتجنبه في فصلي الصيف والخريف ، ويغلب نزول المطر في أواسط شهر نوفمبر بعد هبوب الرياح الآتية من المشرق.

ا - جبل شمر : منطقة جبلية تمتد من جنوب النفود الكبير شمالا الى وادي الرمة جنوبا وتحدها واحة تيماء غربا ، والغوطة والدهناء شرقا في وسطها سهل واسع يمتد بين جبلى آجا و سلمى وقد عرفا عند العرب بجبل طيء) واجا عبارة عن سلسلة من الجبال غير متلاصقة تفصل الوديان والشعاب المختلفة بينها :وتمتد مسافة ٦٥ كيلو مترا من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقى في شبه الجزيرة العربية ومتوسط عرضها ١٠ كيلو مترات، وارتفاعها حوالي ١٤٠٠ متر فوق سطح البحر ويقع سلمى في جنوب اجا ، وهو سلسلة جبال مماثلة له ، ولكنها اقل طولا و ارتفاعا منه وتمتد بمحاذاته وموازية له.ومناخ هذه المنطقة معتدل نسبيا ، ولهذا استقرت بعض القبائل العربية في عدة بلدان وقرى منتثرة ، ويستغل افراد هذه القبائل بالزراعة لوفرة عيون المياه، وخصوبة الأرض ووفرة الاعشاب ، وكثرة نمو شجر النخيل.

ب - الدهناء : تعتبر امتدادا للنفود الكبير ، وهى مجموعة من النفودات تسمى بأماكنها مثل نفود شقرا ، ونفود البطرا، ونفود قنيفذه ، ونفود السرا ، لا يتجاوز عرضها ٣٠ كيلو مترا ، ولكنها تمتد

بضع مئات من الكيلو مترات ، وهى تمتد حتى هضبة الطويق في اتجاه جنوبي يبدأ ما بين الزلفي وعنبزة مكونة ثلاثة اصابع إلى الجنوب الشرقي ، وهي سلاسل رملية واكام وكثبان متقطعة ، متوسط ارتفاعها من ٤٠٠- ٥٠٠ متر عن سطح البحر ، وتخترق الطريق الموصل بين الحما والرياض و الدهناء معناها الأرض الحصوية الحمراء . وتعتبر اعظم واد ببلاد العرب.وهي كثيرة الكلا مع أن أمطارها قليلة ، وعيون المياه غير كثيرة . ويقال ان اخصبت الدهناء ربعت العرب جميعا لسعتها وكثرة اشجارها ، يوجد بها الآن آثار حفرها الاقدمون.

ج - الربع الخالي : كان يعرف قديما باسم يبرين وكذلك بوادي الاحقاف وهو صحراء كبيرة تمتد في شبه الجزيرة العربية بحيث تفصل جهاتها الخصبة بعضها عن بعض ولهذا تمركز السكان في الساحل الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي أي في عمان وفى اليمن . وأصبح كل اقليم في شبه عزلة عن الآخر ، ولم يتأثر كل منهما بحوادث البلاد الداخلية الا منذ سنوات قليلة.

يوجد في هذه المنطقة نخل كثير ، وزرع قليل ، وعيون مياه جارية وغير جارية ، وبه بعض الحصون القديمة ، سكنها القرامطة بعد أن اخرجوا منها بنى قشير ، تسكنه العرب الرحل) البدو (شتاء عندما ينبت الكلا بعد نزول المطر ، ويقيمون فيه ثلاثة شهور ، ترعى خلالها ماشيتهم واغنامهم وابلهم، وهم يعيشون على البانها فاذا اقبل فصل الصيف . وجف الزرع ، وقلت المرعى عادوا الى مواطنهم.

د - الحرات : وهو النوع الثالث من الصحراء المتمثلة في شبه الجزيرة العربية، والحرة عبارة عن أرض وذات حجارة سود نخرة كانها احرقت بالنار ، وتمتد من شرقى حوران الى المدينة، ولكنها ليست متصلة الاقسام ، وقد ذكر ياقوت في معجمه منها حوالى ٢٩ حرة ، وأشهرها حرة واقم التي حدث فيها وقعة الحرة الشهيرة بالمدينة.

وتعتبر واحة حايل من هم مدن الهضبة لانها كانت العاصمة قبل أن تتخذ الرياض عاصمة ومن اهم القبائل في نجد آل مرة ، وبنو خالد .. والعجمان في شرقى نجد ، وعتيبه في الشمال الغربي ، وعنز وحرب في الشمال الشرقي وقحطان في الجنوب.

العروض -:

يقع في الجنوب الشرقي بين نجد واليمن ، تتصل بالبحرين شرقا وبالحجاز غربا ، وتسمى العروض لاعتراضها بين نجد واليمن ويضم هذا الاقليم اليمامة) ٥ (التي يقال أنها بلد طسم وجديس والبحرين ويقال لها مجر ويطلق على الاجزاء الشمالية منها اسم الاحساء (أو الحسا (، وبعض شرقى الهفوف .وهي عباره عن سهول ساحلية تطل على الخليج العربي) الفارسي) مع استثناء بعض الأماكن القليلة . كان يستكنها في عصور ما قبل الاسلام قبائل عبد القيس ، وبكر بن وائل) ٣ (وتميم، وأول من عمرها أبو طاهر القرمطي.

اما عمان فهي بلاد جبلية ، اهم جبالها الجبل الأخضر ، وتخترقها أودية كثيرة ، لعبت دورا كبيرا في العلاقات التجارية بين مدن الخليج العربي وبلدان الشرق الأقصى في العصور الوسطى ، ويشتهر سكانها بالمهارة في الملاحة البحرية ، والاشتغال بالتجارة والزراعة والصيد من البحار وخاصة صيد اللؤلؤ ، موقعها الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة ، تطل على سواحل بحر العرب ومداخل مياه الخليج العربي.

اليمن:
وتعرف عند الجغرافيين والمؤرخين القدامى ببلاد العرب السعيدة Arabia Felix وتقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية وهي تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر - باب المندب - وتطل على بحر العرب ، ومن أهم مدنها .. صنعاء ومارب ونجران وظفار ، وتضم اليها كذلك حضرموت والشحر وعمان

يختلف الاخباريون في سبب تسميتها باليمن ، فينسبها البعض إلى يمن بن قحطان والى غيره ممن كان لهم هذا الاسم ، ولكنى ارجح ما ذكره ياقوت و ابن الكلبي و القلقشندي وغيرهم عن ابن عباس : و تفرقت العرب فتيامنو الى اليمن فسميت بذلك ،كانت صنعاء مقر حكام اليمن وملوكها قديما أي العاصمة (وبالقرب منها يوجد قصر غمدان الشهير ، والى الجنوب الشرقى موقع مدينة مارب حيث بنى السد العظيم على عهد أسرة سبا ، وقد ارتبط أهالى اليمن ومدنها بعلاقات تجارية بمدن الهند والصين من جانب بلدان الشرق الادنى من جانب آخر - كانت اليمن على عكس الأقاليم العربية الأخرى في شبه الجزيرة فموقعها على بحرين كبيرين ، وتغير تضاريسها جعل المياه متوفرة بها بكثرة . فاذا اضيفت خصوبة التربة فقد اكتملت لها مقومات الزراعة الناجحة . حيث زرعت اشجار الجوز والتوابل والعنبر واللبان ، واشجار الزيتون والنخيل والفاكهة .

وقد نتج عن وجود هذه الحاصلات الزراعية المختلفة أن عرفت اليمن التبادل التجارى مع المدن والدول المجاورة سواء داخل شبه الجزيرة اوكانت مجبرة على المرور في أراضي شبه الجزيرة العربية لتصل الى دويلات البحر الأبيض لأن الملاحة البحرية لم تكن مامونة العواقب واصطدمت بكثير من العقبات البحرية ، وعلى هذا عرفت اليمن التجارة مع هذه الشعوب ، كما عرفتها مع مدن الحجاز والشام ومصر وجزر البحر الأبيض المتوسط) ١ (، وكانت هذه التجارة تنقل كلها من الشام تقريبا وتمر فى طريق القوافل الغربي المحازى الشرق البحر الأحمر حتى تصل الى اليمن ، ومع هذه التجارات انتقل كثير من الأفكار وكثير من المعالم الحضارية التي اخذت اليمن بنصيب من أسبابها حتى أطلق عليها اسم) بلاد العرب السعيدة - أو بلاد العرب الخضراء والى الشرق من اليمن يقع صقع حضرموت ، وتكثرت به الجبال . كما تكثر به الوديان، وبه بقايا مدن اثرية اكتشفت بها بعض الكتابات بالخط المسند) ٣ (، والى الشرق من حضرموت تقع ظفار ذات الشهرة منذ القديم في تجارة التوابل والطيب والبخور المستعمل في المعابد . وهي مدينة عظيمة ، كانت منازل التبايعة) قوم تبع (قاعدة بلاد الشحر ، بها الكثير من نباتات الهند مثل الرائج والتنبل .

من هذا العرض نستطيع القول بأن طبيعة البيئة في شبه الجزيرة العربية تختلف من مكان لاخر باختلاف بعد هذا المكان أو قربه من البحر ،أو وقوعه في أرض منخفضه، أو فوق هضاب مرتفعة

، أو من حيث انه محاط بالمرتفعات ، أو أنه قائم في السهول ، هل في وسط شبه الجزيرة ام في اطرافها ، لأن شبه الجزيرة ليس على نسق واحد في خصوبة الارض . او اعتدال الجو أو برودة الهواء أو شدة الحرارة أو كمية المطر . ولذلك نجد مدنا زاهرة، وقرى متفرقة عرف سكانها حياة الاستقرار كما نجد بيداء وصحراء واسعة لا يزورها الناس الا في مواسم معينة من السنة طلبا للمرعى